كتاب التعليم المسيحي مطبوعاً بلغتهم باحرف افرنجية قـال لهم من باب التفكهة : « تقولون ان واكا اعطى في البدء آباءكم كتاباً فقدوه فاني قد وجدته لكم وها هوذا ». ثم اخذ يقرأ لهم في الكتاب الذي بيده وصايا الله فلمَّا رأى ذلك الكَالَا دهشوا من سماعهم لغتهم تُقرأ في كتاب وعهدُهم ان الكتاب الوحيد المكتوب بهذه اللغة انما هو كتابهـم المفقود . واذ اصغوا الى ما كان يقرأه البشير طاروا فرحاً لسماعهم كلاماً يعرفون انهُ شريعة واكا واسرعوا يخبرون بني جلدتهم بان الرجل الابيض الذي جـاء العشيرة (وهو الكاهن البشير) وجد كتاب الكَالَا المفقود مؤكدين لهم انـهُ قرأ لهم في هذا الكتاب نص العقائد التي علّمها آباؤهم . وهكذا شاع في تلك العشيرة خبر قيامة الكتاب الذي ابتلعتهُ البقرة في سالف الزمان

فما احرى وما احقّ ان يقال عن هذه الأمة ما قيل عن الغوال انهم حافظوا بامانة على تعاليم اجدادهم . وبينما نرى الشعوب في الازمنة السالفة قـد انغمـوا بالرذائل فاتخذوا شهواتهم كآلهة عبدوها فسجدوا لإلهة العشق واله الخمر ونحوهما وقدموا لهـا الضحايا وأحرقوا البخور على هياكلهـا . نرى شعب الكَالَا قد حافظ على الامانة التي ورثوها عن اجدادهم الاولين ولم يجرفهم ذاك التيّار العظيم الذي انهمـل على بقية الشعوب الأوّل ألا وهو عبادة الاصنام والسجود لكثرة الآلهة (لهُ تابع)

الحميراء في بيروت

نظر للدكتور حبيب افندي الدرعوني

قد انتشر منذ بضعة اسابيع في بيروت داء الحميراء فرأينا ان نتحيز هذه الفرصة فنكتبَ فيهِ فصلاً لقرَّاء المشرق ليحيطوا بـهِ علماً ويتّقوا اضرارهُ . ويزيدنا رغبةً في الكتابة عن هذا الداء ظواهرهُ غير المألوفة التي لحظناها في الوافدة الحاليَّة

﴿ اسم الـداء ﴾ للحميراء اسماء عديدة تختلف حسب اختلاف البلاد ففي ضواحي لبنان يسمّونها دشيشة . ومنهم من يفضّل تسميتها بالحصبة وهو اسمها الشائع عند العرب وقد ورد اسمها في المعاجم العربيَّة بلفظ « الشَّرَى » وهو غلط لان

الشرى في العرف الطبي طفحة جلدية تواقتها حكة وهي وقتية تزول بزوال اسبابها التي اهمها تخمة في المعدة ويجرع صاحبها بعض عقاقير معلومة وهي معروفة بالافرنسية باسم (urticaire) . اما نحن فقد آثرنا ان نسميها حميراء وهو اسم اقرب لاسمها في الافرنسية (rougeole) دفعاً للالتباس

﴿ اسبابها ﴾ قد لحظ الناس منذ زمن مديد انّ الحميراء داء وبائي يفشو بالعدوى وينتشر مثل داء الجدري . ولكن جهلوا سبب الداء وعاملهُ وهو لا يزال مجهولاً . على اننا نظنّ انّ الحميراء من الامراض الميكروبية لانها تُعدي بالتلقيح وان كانت جراثيمها المعدية لم تُعرف حتى اليوم

واكثر ما تنتشر الحميراء في فصل الربيع ويُبلى بها خصوصاً الاولاد في السن الخامس عشر فما دون . على انّ الكبار ايضاً لا يسلمون من بلائها وكانت اعراضها ثقيلة عليهم في هذه الوافدة التي نشرت اجنحتها فوق مدينتنا وكان البعض من المرضى اذا شخّصنا لهم المرض شكّوا في تشخيصنا لاعتقادهم انّهم أُصيبوا بهذا الداء في حداثتهم فما تلبث البثور ان تظهر على جلدهم فتزيح الارتياب ويلوح لهم صدق حكمنا بكل وضوح . ومن ثمّ بعد الحوادث المتعدّدة التي لحظناها يمكننا القول بان الحميراء التي تصيب شخصاً مرّة اولى لا تقيه من شرّها وقاية تامّة في بقية العمر كما كان مقرّراً في اذهان الخاصّة والعامّة لان المناعة بعد هذا الداء خفيفة ضعيفة . ومن غريب ما شاهدنا ان مريضاً انتكس بعد شفائه من اول اصابة بمدة يسيرة

﴿ اعراض الحميراء ﴾ الحميراء من الحميّات التفاطيّة فلها مثلها دور نظامي ذو اربعة اطوار : اوّلها الحضانة (incubation) ثمّ الهجوم (invasion) ثم الطفح (éruption) ثمّ التغليس (desquamation)

ليست مدّة (الحضانة) معلومة بالتدقيق والمرجّح أنها تدوم من ثمانية أيام الى ١٢ يوماً فيشعر المصاب بانحراف في مزاجه وتوعّك في صحة بدنه حتى اذا آن وقت (الهجوم) عُرفت تماماً اعراض الداء وتقرّر التشخيص . وليس هجوم الحميراء باغتاً كما الجدري والحُمّى القرمزيّة (scarlatine) بل يبدأ ببعض قشعريرات مع وَصَب وتكسّر في الجسم وفقد شهوة الاكل وصداع مع رُعاف في بعض الاحيان . لكنّ الحمّى معتدلة لا تتجاوز حرارتها من ٣٨,٥ الى ٣٩ درجة . ويُصاب في الوقت عينه غشاء الانف

والعيون بزكام وكذا غشاء الحلق والشُعَب الصدرية . ويحدث في العيون احمرار وتدميع . واذا كان الزكام في الانف رافقهُ العطاس وسيلان مخاطي . واذا كان في الحلق رافقهُ سعال جافّ وبحّة في الصوت . واذا كان الالتهاب في الاذن وهو نادر احسَّ المريض بوجع شديد في آذانهِ وسال القيح من صماخهِ . وما هذا الزكام الّا نتيجة تقيّح البثور التي تنتشر على الاغشية المذكورة قبل ان يظهر النفّاط على الجلد

ثم بعد الهجوم يأتي طور (الطفح) اي ظهور البثور على الجلد . وعندنا انَّ الطورين الثاني والثالث لا يختلفان اذ ان هيجان الاغشية مسبَّب من طلوع البثور التي تسبق في الاغشية لا سيّما غشاء الحلق قبل ان تطفح على الجلد فالاجدر ان يُوصف طور الهجوم بتسميتهِ طور الطفح الداخليّ او طفح الاغشية . ولذلك اذا اراد الطبيب ان يعلم اعراض الحميراء فما لهُ الّا ان يستدلّ عليها بفحص غشاء الحلق

وهذا الزكام الحلقيّ او بالحري طفح البثور في غشاء الحلق ربَّما تقامّ حتى ينخدع بهِ الحكيم فيظنّهُ التهاب الحنجرة او خناقًا الى ان يعلم بحقيقة الامر بعد اربعة او خمسة أيّام اذا نظر البثور النافطة على الجلد . ومن الاطبّاء من يعتبر ذلك التهابًا شعبيًا فيداوي المريض بالادوية المناسبة لذلك الى ان يكذّب العيان تشخيصهُ . وربَّما حصل في بعض الاحوال التهاب في اغشية الاحشاء ويدوم ذلك مع حُمّى خفيفة الى ان يثور على الجلد فتزيد شدَّة الحمّى منذرةً بظهور الطفح

(الطفح) اوَّل ظهورهِ في الوجه ثم يلحق بالعنق وينزل الى الصدر وبقيَّة الجسم . واذا امعن احد نظرهُ في البثور لا سيَّما الخارج منها على الصدر او البطن وجدها على شبه نقّاطات صغيرة حمراء لدنة ليس فيها خشونة نقاطات الحمّى القرمزيَّة وبراها متفاوتة الكبر واذا ضغط عليها باليد توارت وهذه البثور تتجمَّع على شكل بُقَع مختلفة الصورة وفي بعض الاحيان تتواصل النقّاطات بعضها حتى يعمّ احمرارها كافَّة الجلد

واذا ظهرت البثور على الجلد تخفّ في الاغشية وتأخذ بالاضمحلال فيضعي السعال طريًا والبصاق في الكبار يصير غليظًا وضاربًا الى الخضرة ويُسمع لصوت الصدر صفيرٌ وشخيرٌ وخنَّة . امَّا الاطفال فكثيرًا ما يصيبهم إسهال وربَّما افرزوا معهُ موادّ دمويَّة او لزجة مخاميَّة

والبعض يعدّون التشنُّجات من اعراض الحميراء في الاطفال الّا ان هذه التشنُّجات

ليست من خواصّ الحميراء وهي تطرأ على الاطفال في كلّ ادوائهم فلا حاجة اذن لذكرها بصفة عرض خاصّ بالحميراء

وبعد ثلثة او اربعة أيّام لدور الطفح تسقط الحتّى ويكمد لون البقع فتصير شبيهة بلون القهوة الممزوجة باللبن ثمّ تتلاشى ويسقط من البثور قشور صغيرة الّا ان هذه القشور قليلة بحيث يجوز القول انّ دور (التقلّس) لا يُعبأ به . الّا ان سحنة الوجه والجبين تكون متقشرة

وممّا لحظناهُ في أيّام هذه الوافدة بعض اعراض تسمُّم الدم والسبب اما التسمّم البولي واما انتشار الجراثيم السامّة التي تنتجها اصول الحصبة المرَضيّة . ولسوء الحظّ كانت هذه الاصابات ميتةً في اكثر الاحيان

﴿ العلاج والوقاية ﴾ ينبغي على المصاب بالحميراء ان يلزم الفراش ويجتمي من الطعام الّا الحليب وتكون غرفتهُ متساوية الحرارة ويغسل حلقهُ وفمهُ واقهُ بغسول معاكس للعفونة . وهذا العلاج كافٍ لشفاء المريض اذا كانت الاصابة خفيفة فيمكنهُ ان يقوم بعد ثمانية أيّام في حجرتهِ وبعد عشرة أيّام الى خمسة عشر يوماً يستطيع الخروج من الدار . وممّا يوصف للمصابين بالحميراء اذا قوي عليهم الداء الاستحمام بالماء الفاتر

اما نحن اذا ما لحظنا امتلاءً وريديًا او احتقانًا في الاجهزة فلا نتردّد في نزع الدم . وكثيرًا ما جرينا على ذلك وجدنا في العمل عاقبة محمودة . لا بل اذا حدث تسمُّم في الدم لا نرى طريقةً اوفق من الفصد وان لزم الامر وخيف التهوُّر والانحطاط التجأ الطبيب الى الحقن بالمصل الصناعيّ على اثر الفصد . وهذه الطريقة لم تثبت فقط بالاختبار بل هي موافقة ايضًا للمبادئ العلميّة لأنّ بالفصد يُستخرَج قسمٌ من الدم المتسمّم وبذلك يخفّ عمل السمّ فتقوى الطبيعة على مقاومة مفعولات الباقي منهُ وممّا يؤيد ذلك أنّ العلماء دون استثناء يصفون نزع الدم في التسمُّم البوليّ فلمَ لا يُنزَع ايضاً في التسمُّم الدمويّ لأنّ الغاية في الدائين واحدة وهي النجاة من عقبى السمّ . فلا بدّ اذن من اتخاذ الوسائط ذاتها

وما قلناهُ انفاً يصلح في الحميراء الاعتيادية المتدلة الشدّة كما تُرى في الغالب ولكن يحدث احيانًا التباكات فتظهر الحميراء في هيئات غير مألوفة او يرافقها تريف الدم فتختلف اذ ذاك الحالة ويترتّب على الطبيب ان يهتمّ بكلّ من الارتباكات حسب اعراضها

﴿ اعراض الحميراء غير المعهودة ﴾ للحميراء هيئة غير معهودة تحدث غالباً للاطفال فاذا كان طور الهجوم حصل للمصاب تشنُّجات وقيء وارتفاع في درجة الحرارة . اما الطفح فيتأخر مدَّة ويكون غير كامل او غير ظاهر للعيان وتبقى الحمَّى ويرمد الجلد فيبس ويكون النبض خفيفاً سريعاً جداً ويقلّ البول . واذا كان الداء على هذه الصورة ساءت عقباه فينتهي بالموت

وفي بعض الاحوال وهي لحسن الطالع نادرة الوقوع يجري الداء على مداه الى وقت الطفح فتحصل اذ ذاك اعراض غير مألوفة لحظناها في الرائدة الحديثة . فقد رأينا فتاةً أُصيبت بحصبة عاديَّة فلمَّا صار الداء الى الزوال غلب عليها السبات وفقدان الشعور وكانت درجة الحرارة بالغةً وخفقان القلب سريعاً وظهرت في الوجه بعض تشنُّجات صرعيَّة ممَّا دلّ على تسمُّم الدماغ فماتت الفتاة بعد قليل . وتكون الحصبة تريفيَّةً فيسيل الدم في الجلد وتحدث احمرارات مسنَّية من خروج الدم عن مجراهُ فتظهر في الجلد بُقَع حمراء ارجوانيَّة ان ضغطتَها بالاصبع لا تتلاشى . وهذه البُقَع تدوم الى ٨ و ١٠ أيام بعد الطفح . والحصبة اذا ظهرت مع هذه الاعراض كانت بلا شكّ اشدّ خطراً من الحصبة البسيطة . الَّا انَّها ما دامت عوارضها منحصرة في الجلد لا تنذر بالموت . اما اذا امتدَّ تريف الدم فكان منهُ رعاف او رشح الدم من الفم او من الرحم او من المثانة او من المعا فلا يلبث المريض ان يودّع الحياة مع ما يصاب بهِ من التهوُّر والاعراض التيفوسيَّة

﴿ ارتباكات الحميراء ﴾ الحميراء خفيفة الوطأة اذا لم تعترضها تلبُّكات في اطوارها المختلفة . ومن التلبُّكات التي تحدث خصوصاً في الصغار التشنُّجات والتهاب الحنجرة الحادّ والرعاف . اما التشنُّجات فليست بخطرة اذا كانت وقتيَّة لانَّها كما سبق القول تعمُّ كلّ امراض الاطفال ناتجةً عن تنبُّه جهازهم الصعبي . اما اذا كانت هذه التشنُّجات تحدث مع توعُّكات واضطراب في المراكز الدماغيَّة فذلك دليل على انَّ المرض من جنس الحميراء العصبيَّة الوخيمة العقبى

ومن الاختلاطات التي يشترك فيها الصغار والكبار معاً الَّا انَّها شديدة الخطر في الاحداث ذلة الشُّعَب مع ذات الرئة . وحدوثها يمكنهُ ان يكون في اليوم الثالث او الرابع من المرض اعني قبل طور الطفح لكنهُ في الغالب يجري نحو اليوم السادس او

السابع في وقت اشتداد طفح البثور . ويدلُّ على وقوع هذه النزلة متناوبة الحمّى واشتداد حرّها وصعوبة التنفّس الزايدة . حتى انهُ لو بقيت اعراض الحميراء الى اليوم الثامن ولم تخفّ الحمى بل تزيد حدَّةً والخراخر الشعبيَّة صارت ادقّ واشدّ تواترًا فالخوف كلّ الخوف من هجوم النزلة الشعبيَّة الرئويَّة التي تذهب بارواح كثير من الاطفال . على انَّ هذه الارتبا كات التي تكثر عند فشوّ الحميراء كانت قليلةً في وافدة هذه السنة . وعلى خلاف ذلك قد لحظنا هذه المرَّة في كثير من الصغار نوبات عسر التنفّس وسعال كسعال الذُبحة او الشهقة وبقيت هذه الاعراض مدَّةً بعد زوال المرض . وعندنا انَّ سببها احتقان في الغُدَد اللمفاويَّة الشعبيَّة وذلك ممَّا لوحظ مرارًا في الاطفال المصابين بالحصبة

امَّا ذات الرئة والبرسام فداءان يختصّ بهما الكبار غالبًا . وممَّا يعرض للاحداث كما قلنا في طور الطفح الاسهال وهو عرضي لكنَّهُ اذا دام زمنًا وكان شديدًا ربَّما أدى بالطفل الى داء عضال شبيه بالهيضة . وقد لحظنا في اثناء الوافدة الحاليَّة ظهور الدوسانطريَّة مدَّة طويلة بعد شفاء المصابين بالحصبة . ولعلَّ السبب انَّ الطفح لمَّا تقحَّم على الغشاء المعويّ اعدَّهُ لقبول هذا الداء باستنبات مكروبهِ المعروف باسم اميبا كولي (amœba coli)

لمَّا التهاب الآذان فانهُ يلوح احيانًا منذ اوَّل الداء ويمكنهُ ان يتفاقم الى حدّ بالغ تنتج عنهُ النتائج السيّئة المنوطة بهِ . والقنغرينة ومثلها الخانوق وداء السلّ تظهر في بعض المواطن في اثر الحصبة

وان طلب احدٌ كيف تجري كلّ هذه الارتبا كات بسبب الحميراء اجبنا انَّ تعليلها يمكن ان يورد على هذه الصفة وذلك انَّ الحصبة بما تحدثهُ من الالتهاب في الاغشية الداخليَّة تثير الجراثيم المرَضيَّة التي تعشش غالبًا في تلك الاجهزة فتزيد شرَّتها وتجديها قوَّة مَرَضيَّة تلوح امَّا منفردةً بذاتها واما لعلاقة خفيَّة بين غيرها من الميكروبات

﴿ العلاج ﴾ اذا كانت الحصبة بسيطة لم يحترج بها ارتباك فالاحرى الانتظار واتّخاذ الوسائط الصحيَّة العاديَّة . امَّا اذا كانت مرتبكة فعلى الطبيب ان يعمل بفطنة وتروّي دون ان يبالي بما يسمعهُ من الاعتراضات من اهل المريض فانَّ للاقارب والاصحاب اوهامًا غريبة كثيرًا ما تضيق الطبيب في عملهِ . وممَّا يجب على الطبيب فعلهُ

ان يعالج كل واقعة بالعلاجات الخاصّة بها ولا حاجة الى تدوينها هنا اشيوعها . وعلى كلّ حال مهما قالـهُ بعض المحدثين من الاطبّاء لا بأس من ترع الدم اذا اشتدّ الداء. وذلك اماً بمشاريط الحجامة في النزلة الشعبيّة الرئويّة واماً بوضع العلق على المقعدة في الاحتقان المعويّ او على الخاصرة عند انسداد الكلى او خلف الآذان اذا خيف من التهاب امّ الدماغ او الاحتقان المخيّ . واخيرًا يُسرَع الى الفصد في التسمّم البولي او تسمّم الدم ايًّا كان

نشرة اثريّة

في تعريف بعض المطبوعات المستحدثة لبعض الآباء اليسوعيين

في نشرة اولى وصفنا المطبوعات التاريخيّـة المستحدثة التي أُرسلت الى ادارة المشرق. وها نحن ذا بنبذة ثانية نتوخّى فيها ما أُتحفنا به من الاثريّات . وان اعملنـا النظر في هذه المصنّفات الاثريّة وجدنا أنّ ترقّي الآثار ليس دون ترقّي العلوم التاريخيّة

١ وما يدلُّ على ذلك كتاب حديث ألّفهُ المسيو كرولْ ودعاهُ « العلوم الاثريّة في الربع القرن الاخير (١) » وصف فيهِ المؤلف ما اصابتهُ الاثريّات من النجاح والتقدُّم. وقد قسم كتابهُ الى ١٦ قسماً وَكلّ يوصف كل قسم منهـا احد مشاهير العلماء . اماً الاقسام المذكورة فمنها العاديّات والرسوم اليونانيّة والحقوق السياسيّة الرومانيّة وعيشة الاقدمين الاهليّة والجغرافيّة القديمة والفنون والصنائع والعلوم الفلكيّة والرياضيّة والميكانيكيّة فكل كاتب يتتبّع ما عُهد اليهِ من الابحاث فيبيّن ما وُجد من الاكتشافات وما وُضع من التآليف وما تقرّر من المطالب والمباحث منذ السنة ١٨٧٥ الى ١٩٠٠. وقد وجدنا هذه الدروس وافيةً جامعـة لشتات ما صُنّف في كلّ مادّة بحيث نرى الكتاب لازماً لكلّ من يريد الاطلاع على ترقّي المعارف القديمة في ايّامنا. ولنـا مع ذلك عدّة ملحوظات في هذا التأليف لا يمكننا السكوت عنها. منها انّ المؤلف قد ادخل

(١) وهو في الالمانية :

Kroll : Die Altertumswissenschaft im letzten Vierteljahrhundert, 1905. *Leipzig, Reisland.*